مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّالِثَةُ)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسِير

جزء عمّ

[سُورَةُ: عَبَسَ]

www.menhag-un.com

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ السُّورَةِ

* سُورَةُ عَبَسَ مِنَ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، وَهِيَ تَتَنَاوَلُ شُئُونًا تَتَعَلَّقُ بِالْعَقِيدَةِ وَأَمْرِ الرِّسَالَةِ، كَمَا أَنَّهَا تَتَحَدَّثُ عَنْ دَلَائِلِ الْقُدْرَةِ، وَالْوَحْدَانِيَّةِ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَالنَّبَاتِ، وَالطَّعَامِ، وَفِيهَا الْحَدِيثُ عَنِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا، وَشِدَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِذِكْرِ قِصَّةِ الْأَعْمَىٰ (عَبْدِ اللهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ) الَّذِي جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَشْغُولٌ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ كُبَرَاءِ قُرَيْشٍ، يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَعَبَسَ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِالْعِتَابِ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ تَحَدَّثَتْ عَنْ جُحُودِ الْإِنْسَانِ، وَكُفْرِهِ الْفَاحِشِ بِرَبِّهِ مَعَ كَثْرَةِ نِعَمِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ...﴾ الْآيَاتِ

* ثُمَّ تَنَاوَلَتْ دَلَائِلَ الْقُدْرَةِ فِي هَذَا الْكَوْنِ، حَيْثُ يَسَّرَ اللهُ لِلْإِنْسَانِ سُبُلَ الْعَيْشِ فَوْقَ سَطْحِ هَذِهِ الْمَعْمُورَةِ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِبَيَانِ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَفِرَارِ الْإِنْسَانِ مِنْ أَحْبَابِهِ مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ وَالْفَزَعِ، وَبَيَّنَتْ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَالَ الْكَافِرِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ...﴾، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾ (مِنْ آيَة ١ إِلَىٰ آيَة ٤٢ نِهَايَةِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ).

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

سُورَةُ عَبَسَ

مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٠

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾.

www.menhag-un.com

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿عَبَسَ﴾: غَيَّرَ مَلَامِحَ وَجْهِهِ.

﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾: أَعْرَضَ.

﴿يُدْرِيكَ﴾: يُعْلِمُكَ.

﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾: يَتَزَكَّىٰ؛ أَيْ يَتَطَهَّرُ.

﴿ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾: الْعِظَةُ.

﴿تَصَدَّىٰ﴾: تَتَصَدَّىٰ؛ أَيْ تُقْبِلُ عَلَيْهِ.

﴿يَخْشَىٰ﴾: يَخَافُ.

﴿تَلَهَّىٰ﴾: تَتَشَاغَلُ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس: ١-١٠].

هَذِهِ الْآيَاتُ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه، وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَىٰ، جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُشْتَغِلٌ بِدَعْوَةِ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَبَيَانِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ.

وَأَخَذَ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، وَلِأَنَّهُ كَانَ أَعْمَىٰ رضي الله عنه كَانَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ مُشْتَغِلٌ بِغَيْرِهِ مِمَّنْ يَحْرِصُ عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ مِنْ كُبَرَاءِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرَىٰ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَوْ أَسْلَمُوا وَدَخَلُوا فِي دِينِ اللهِ؛ دَخَلَ فِي الدِّينِ مَنْ وَرَاءَهُمْ.

وَأَخَذَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه يُكَرِّرُ قَوْلَهُ: «عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ»، فَعَبَسَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾(٢).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣٦)، و«فتح القدير» للشوكاني (٥/ ٤٦٣).

(٢) أجمع أهل التفسير علىٰ أن هذه السورة نزلت في ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وأخرج الطبري =

﴿عَبَسَ﴾: أَيِ النَّبِيُّ ﷺ، قَطَّبَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ(١)؛ كَرَاهَةً لِمَا وَقَعَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ﷺ وَأَعْرَضَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾: أَيْ لِأَجْلِ أَنْ جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَطَعَهُ عَمَّا هُوَ مَشْغُولٌ بِهِ مِنْ دَعْوَةِ بَعْضِ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ لِلْإِسْلَامِ.

﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾: أَيْ يَتَطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ.

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾: أَيْ يَتَّعِظُ.

=

في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٧)، بإسناده، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُنَاجِي عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَأَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ وَالْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ يَتَصَدَّىٰ لَهُمْ كَثِيرًا، وَيَحْرِصُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَعْمَىٰ، يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، يَمْشِي وَهُوَ يُنَاجِيهِمْ، فَجَعَلَ عَبْدُ اللهِ يَسْتَقْرِئُ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعَبَسَ فِي وَجْهِهِ وَتَوَلَّىٰ، وَكَرِهَ كَلَامَهُ، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ الْآخَرِينَ،...الحديث.

وأخرج الترمذي في «جامعه» في (كتاب تفسير القرآن، باب ٧٣: ١، رقم ٣٣٣١)، من حديث: عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «أُنْزِلَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَىٰ، أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَىٰ الآخَرِ، وَيَقُولُ: «**أَتَرَىٰ بِمَا أَقُولُ بَاسًا؟**» فَيَقُولُ: لَا، فَفِي هَذَا أُنْزِلَ»، وصحح إسناده الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (رقم ٣٥٦٦).

(١) «لسان العرب» (٦/ ١٢٨).

www.menhag-un.com

﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾: أَيِ الْمَوْعِظَةُ.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: عَنِ الْإِيمَانِ، وَالْعِلْمِ، وَالدِّينِ بَالْمَالِ وَالْجَاهِ.

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾: أَيْ تُقْبِلُ عَلَيْهِ، وَتَتَصَدَّىٰ لَهُ.

﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾: أَيْ لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ فِي عَدَمِ تَزْكِيَتِهِ نَفْسَهُ بِالْإِسْلَامِ.

﴿يَسۡعَىٰ﴾: أَيْ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْهُدَىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾: وَمَا يُدْرِيكَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَعَلَّ الْأَعْمَىٰ يَتَطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ بِسَبَبِ مَا يَتَعَلَّمُهُ مِنْكَ؟

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾: ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ﴾: أَوْ يَتَذَكَّرُ فَيَتَّعِظُ بِمَا تُعَلِّمُهُ مِنَ الْمَوَاعِظِ، ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾: أَيِ الْمَوْعِظَةُ.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: وَأَعْرَضَ عَنْكَ.

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾: تُقْبِلُ عَلَيْهِ بوَجْهِكَ، وَتُقْبِلُ عَلَيْهِ بِحَدِيثِكَ، وَهُوَ يُعْرِضُ عَنْكَ مُظْهِرًا الِاسْتِغْنَاءَ عَنْكَ.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ﴾: فَوَصَلَ إِلَيْكَ مُسْرِعًا فِي الْمَجِيءِ، طَالِبًا مِنْكَ أَنْ تُرْشِدَهُ إِلَىٰ الْخَيْرِ.

﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾: تَتَشَاغَلُ، وَتُعْرِضُ.

www.menhaj-un.com

وَأَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ عَنْكَ، وَأَنْتَ تَتَصَدَّىٰ لَهُ وَهُوَ لَا يَهْتَدِي، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ، فَلَا تَهْتَمَّ بِأَمْرِ مَنْ كَانَ هَكَذَا مِنَ الْكُفَّارِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُعَاتِبُ اللهُ ﷻ رَسُولَهُ ﷺ بِهَذَا الْعِتَابِ اللَّطِيفِ، حِينَمَا عَبَسَ فِي وَجْهِ الْأَعْمَىٰ الَّذِي أَتَىٰ إِلَيْهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ﷺ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَىٰ سُؤَالِهِ.

وَفِي الْكَلَامِ الْتِفَاتٌ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَىٰ الْحُضُورِ، وَهَذِهِ مُبَالَغَةٌ فِي الْعِتَابِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: وَمَا يُعْلِمُكَ عَنْ حَالِ هَذَا الْأَعْمَىٰ، فَلَعَلَّهُ يَتَطَهَّرُ مِنَ الْجَهْلِ أَوِ الذَّنْبِ بِمَا يَسْمَعُ مِنْكَ مِنَ الْقُرْآنِ.

وَأَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ عَنِ الْإِيمَانِ، وَمَا عِنْدَكَ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي يَنْطَوِي عَلَيْهَا الْقُرْآنُ؛ فَأَنْتَ تَتَعَرَّضُ لَهُ بِالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَالْإِصْغَاءِ لِكَلَامِهِ، وَالِاهْتِمَامِ بِإِرْشَادِهِ وَاسْتِصْلَاحِهِ؛ رَجَاءَ أَنْ يُسْلِمَ وَيُسْلِمَ بِإِسْلَامِهِ غَيْرُهُ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ هِدَايَتُهُ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.

وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ مُسْرِعًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْخَيْرِ، وَهُوَ يَتَّقِي رَبَّهُ تَعَالَىٰ وَيَخْشَاهُ، فَأَنْتَ تُعْرِضُ عَنْهُ وَتَتَشَاغَلُ.

www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ(١):

١- وَفِي الْآيَاتِ بَيَانُ مَقَامِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ أَشْرَفُ مَقَامٍ وَأَسْمَاهُ، دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ أُسْلُوبُ الْعِتَابِ؛ حَيْثُ خَاطَبَهُ اللهُ فِي أُسْلُوبِ شَخْصٍ غَائِبٍ؛ حَتَّىٰ لَا يُوَاجِهَهُ بِالْخِطَابِ.

فَلَمْ يَقُلْ: عَبَسْتَ وَتَوَلَّيْتَ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾؛ لِأَنَّهُ لَوْ وَاجَهَهُ بِالْخِطَابِ لَآلَمَهُ، فَتَلَطَّفَ ﷻ فِي الْخِطَابِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أَزَالَ الْوَحْشَةَ يُخَاطِبُهُ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: فَفِي هَذَا الْأُسْلُوبِ الْتِفَاتٌ؛ لِأَنَّهُ بَدَأَ بِالْغَيْبَةِ، ثُمَّ عَدَلَ عَنْهَا إِلَىٰ الْخِطَابِ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ أَيْضًا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَدْ بَلَغَ بِتَأْدِيبِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ مُسْتَوًى لَمْ يَبْلُغْهُ سِوَاهُ.

فَقَدْ كَانَ إِذَا جَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه بَعْدَ ذَلِكَ؛ يُوسِعُ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ، وَيُجْلِسُهُ إِلَىٰ جَانِبِهِ وَيَقُولُ لَهُ: «**مَرْحَبًا بِالَّذِي عَاتَبَنِي رَبِّي لِأَجْلِهِ**»(٢)، وَوَلَّاهُ النَّبِيُّ

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥١٨).

(٢) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣٢)، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٤٩٣ و٣٤٩٤)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (رقم ٣١٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٨ و٢١٩)، بإسناد صحيح، عَنْ أَنَسٍ، فِي قَوْلِهِ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ قَالَ: جَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ إِلَىٰ =

ﷺ الْمَدِينَةَ مَرَّاتٍ(١)، وَكَانَ مُؤَذِّنًا لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي رَمَضَانَ(٢).

٣- وَفِي الْآيَاتِ اسْتِحَالَةُ كِتْمَانِ النَّبِيِّ ﷺ لِشَيْءٍ مِنَ الْوَحْيِ، وَقَدْ قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَوْ كَانَ لِلرَّسُولِ أَنْ يَكْتُمَ شَيْئًا مِنْ وَحْيِ اللهِ؛ لَكَتَمَ عِتَابَ اللهِ لَهُ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾»(٣).

فَلَوْ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَكْتُمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ لَكَتَمَ هَذَا، وَلَوْ كَانَ هَذَا الْوَحْيُ مِنْ عِنْدِهِ هُوَ؛ مَا قَالَ هَذَا لِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ يُبَلِّغُهُ رَسُولُهُ ﷺ.

=

النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يُكَلِّمُ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، قَالَ: «**فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْرِمُهُ**».

(١) أخرج أبو داود في (الصلاة، ٦٥، رقم ٥٩٥)، وفي (الخراج، ٣، رقم ٢٩٣١)، من حديث: أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَخْلَفَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ مَرَّتَيْنِ**»، وصححه الألباني في «الإرواء» (٥٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في (الأذان، ١٣، رقم ٦٢٢)، وفي (الصوم، ١٧، رقم ١٩١٨)، ومسلم في (الصلاة، ٥، رقم ٣٨١)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) «المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك» لأبي بكر ابن العربي (٣/ ٣٩٣ - ٣٩٤)، و«الشفا» للقاضي عياض (٢/ ١٩١)، وأخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٩)، بإسناد صحيح، عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: كَانَ يُقَالُ: لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ مِنَ الْوَحْيِ شَيْئًا، كَتَمَ هَذَا عَنْ نَفْسِهِ،...، وَذكر قصَّة ابن أُمِّ مَكْتُومٍ، وَنُزُولَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤١١) في نسبة هذه الرواية لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَمْ أَرَهَا إِلَّا عِنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ».

٤- وَفِي الْآيَاتِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَلَّا نَتْرُكَ الْمَصْلَحَةَ الْمُتَحَقَّقَةَ لِلْمَصْلَحَةِ الْمُتَوَهَّمَةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَضَ عَنِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَلَمْ يُعَلِّمْهُ مَا طَلَبَ مِنْهُ، وَهَذِهِ مَصْلَحَةٌ مُتَحَقَّقَةٌ، وَأَقْبَلَ ﷺ عَلَىٰ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ رَجَاءَ أَنْ يُسْلِمُوا، فَيُسْلِمَ بِإِسْلَامِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وَهَذِهِ مَصْلَحَةٌ غَيْرُ مُتَحَقَّقَةٍ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ أَنَّهُ يَنْبَغِي الْإِقْبَالُ عَلَىٰ طَالِبِ الْعِلْمِ الْخَيِّرِ، وَالْمُفْتَقِرِ إِلَيْهِ، وَالْحَرِيصِ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، فَقَدْ عَاتَبَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ فِي أَنَّهُ لَمْ يُقْبِلْ عَلَىٰ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه.

٦- وَفِي الْآيَاتِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ الدُّعَاةِ إِلَىٰ اللهِ عَدَمُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالضَّعِيفِ، وَالْفَقِيرِ وَالْغَنِيِّ، وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الآيات من: ١١ إلى: ٢٣

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿كَلَّآ﴾: حَقًّا.

﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ.

﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾: عَالِيَةِ الْقَدْرِ.

﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾: بَعِيدَةٍ عَنِ الدَّنَسِ، وَعَنِ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ.

﴿سَفَرَةٍ﴾: الْكَتَبَةُ، وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ.

﴿بَرَرَةٍ﴾: الْأَتْقِيَاءُ.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: لُعِنَ الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ.

﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾: فَسَوَّاهُ، وَهَيَّأَهُ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ، وَهَيَّأَهُ لِمَا يَصْلُحُ لَهُ.

﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾: جَعَلَ لَهُ قَبْرًا يُدْفَنُ فِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

﴿أَنشَرَهُۥ﴾: بَعَثَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

﴿كَلَّا﴾: كَلِمَةُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ، لَا تَعُدْ لِمِثْلِ هَذَا فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَفِي آخِرِهَا ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كَلَّآ﴾: يَعْنِي لَا تَعُدْ لِمِثْلِ ذَلِكَ؟

﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾: أَيْ هَذِهِ الْآيَاتُ عِظَةٌ لِلْخَلْقِ.

﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾: عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ.

﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾: مَرْفُوعَةٍ فِي السَّمَاءِ، مُطَهَّرَةٍ: مُنَزَّهَةٍ عَنْ مَسِّ الشَّيَاطِينِ.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾: بِأَيْدِي كَتَبَةٍ يَنْسَخُونَهَا مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾: مُطِيعِينَ للهِ، وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ.

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾: لُعِنَ الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ، مَا أَشَدَّ كُفْرَهُ!

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾: أَيْ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَ اللهُ هَذَا الْكَافِرَ.

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾: مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، فَكَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ خَرَجَ مِنْ مَخْرَجِ الْبَوْلِ مَرَّتَيْنِ(٢)، مَرَّةً مِنْ أُمِّهِ وَمَرَّةً مِنْ أَبِيهِ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥١٦ - ٥١٩)، و«فتح القدير» للشوكاني (٥/ ٤٦٤ - ٤٦٥).

(٢) أخرج المعافي بن عمران في «الزهد» (رقم ١٠٧)، وأحمد في «الزهد» (رقم ١٦٥٧ و١٦٥٨)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «**يَا ابْنَ آدَمَ، كَيْفَ تَتَكَبَّرُ وَأَنْتَ خَرَجْتَ مِنْ**
=

﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾: فَسَوَّاهُ، وَهَيَّأَهُ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾: يَسَّرَ لَهُ الطَّرِيقَ إِلَىٰ تَحْصِيلِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ(١).

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾: فَجَعَلَهُ ذَا قَبْرٍ يُوَارَىٰ فِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ؛ إِكْرَامًا لَهُ.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾: أَحْيَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾: أَخَلَّ بِمَا أُمِرَ بِهِ الْكَافِرُ بِكُفْرِهِ، وَالْعَاصِي بِعِصْيَانِهِ، وَمَا قَضَىٰ مِمَّا أَمَرَ اللهُ إِلَّا الْقَلِيلَ(٢).

❁ ❁ ❁

= سَبِيلِ الْبَوْلِ مَرَّتَيْنِ»، وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والأحنف بن قيس، نحوه، بأسانيد صحيحة.

(١) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٠٥) وعبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٤٩٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٤)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾، قَالَ: «**الشَّقَاءُ وَالسَّعَادَةُ**»، وفي رواية: «**هُوَ كَقَوْلِهِ**: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]»، وروي عن الحسن بنحوه، بإسناد صحيح.

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٠٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٥)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾، يَقُولُ: «**لَا يَقْضِي أَحَدٌ أَبَدًا كُلَّ مَا فُرِضَ عَلَيْهِ**».

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يَقُولُ تَعَالَىٰ: حَقًّا إِنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ لِلْخَلْقِ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّعِظَ بِتِلْكَ الْآيَاتِ فَلْيَفْعَلْ.

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أُودِعَتْ آيَاتُهُ فِي صُحُفٍ رَفِيعَةِ الْقَدْرِ، مُطَهَّرَةٍ مِنَ الدَّنَسِ وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ.

وَالْمُرَادُ بِالصُّحُفِ: الْمَنْسُوخَةُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَهِيَ بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ، وَهُمُ الرُّسُلُ بَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَالْأَنْبِيَاءِ بِالْوَحْيِ، وَهُمْ -كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ- كِرَامٌ عَلَىٰ اللهِ، كَرِيمَةٌ أَخْلَاقُهُمْ، نَزِيهَةٌ أَفْعَالُهُمْ، لَمْ يَتَدَنَّسُوا بِمَعْصِيَةٍ.

ثُمَّ ذَمَّ سُبْحَانَهُ الْكَافِرَ الْمُنْكِرَ لِلْبَعْثِ، فَقَالَ: لُعِنَ هَذَا الْإِنْسَانُ مَا أَشَدَّ كُفْرَهُ، وَهُوَ دُعَاءٌ عَلَيْهِ عَلَىٰ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْعَرَبِ مِنَ الدُّعَاءِ بِهَذَا اللَّفْظِ، كَقَوْلِهِمْ: قَاتَلَهُ اللهُ، وَهُوَ هُنَا تَقْبِيحٌ لِمَا عَلَيْهِ هَذَا الْإِنْسَانُ مِنَ الْكُفْرِ، مَعَ إِحْسَانِ اللهِ إِلَيْهِ، وَكَثْرَةِ أَيَادِيهِ عَلَيْهِ.

وَلِذَلِكَ وَبَّخَهُ بِقَوْلِهِ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ؟ وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّقْرِيرُ، وَفِيهِ فَسَّرَ هَذَا الْخَلْقَ بِأَنَّهُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَأَنَّهُ جَعَلَ هَذَا الْخَلْقَ أَطْوَارًا وَأَحْوَالًا؛ نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضْغَةً، إِلَىٰ آخِرِ هَذِهِ الْمُقَدَّرَاتِ، حَتَّىٰ يُولَدَ وَيَشِبَّ.

وَجَعَلَهُ مُتَمَكِّنًا مِنْ سُلُوكِ سُبُلِ الْخَيْرِ أَوْ سُبُلِ الشَّرِّ، وَبَعْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِهِ أَمَاتَهُ، وَجَعَلَ لَهُ قَبْرًا يُوَارَىٰ فِيهِ.

ثُمَّ إِذَا حَانَ وَقْتُ الْقِيَامَةِ، وَبُعِثَ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ، أَقَامَهُ وَبَعَثَهُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، ثُمَّ زَجَرَ الْإِنْسَانَ الْكَافِرَ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ التَّكَبُّرِ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- فِي الْآيَاتِ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ فَضْلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِ.

٢- وَفِيهَا بَيَانُ مَظَاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَهِيَ مُقْتَضِيَةٌ لِلْإِيمَانِ بِهِ، وَبِآيَاتِهِ، وَبِرَسُولِهِ، وَلِقَائِهِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: الدَّلَالَةُ عَلَىٰ فَضْلِ الْمَلَائِكَةِ.

٤- وَفِيهَا: ذَمُّ الْكَافِرِ؛ لِمُعَارَضَتِهِ الْحَقَّ مَعَ وُضُوحِهِ، وَظُهُورِهِ وَبَيَانِهِ.

٥- وَفِيهَا ذِكْرُ أَحْوَالِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَانْتِقَالِهِ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: مَشْرُوعِيَّةُ دَفْنِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَفِي هَذَا تَكْرِيمٌ لَهُ، أَمَّا حَرْقُهُ -كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ الْوَثَنِيِّينَ- فَمُنَافٍ لِلْإِكْرَامِ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ بِه، وَمُنَابِذٌ لِلسُّنَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَضْلًا عَمَّا فِيهِ مِنَ الْبَشَاعَةِ وَالشَّنَاعَةِ.

٧- وَفِي الْآيَاتِ: الْإِنْكَارُ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَقُمْ بِأَوَامِرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيَشْكُرْهُ عَلَىٰ نَعْمَائِهِ الَّتِي أَوْصَلَهَا إِلَيْهِ.

www.menhag-un.com

الآيات من: ٢٤ إلى: (٤٢) نهاية السورة

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿صَبَبْنَا﴾: أَنْزَلْنَا الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ.

﴿وَقَضْبًا﴾: عَلَفًا تَأْكُلُهُ الدَّوَابُّ رَطْبًا.

﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾: بَسَاتِينَ كَثِيرَةُ الْأَشْجَارِ.

﴿وَأَبًّا﴾: مَا تَرْعَاهُ الدَّوَابُّ مِنَ الْعُشْبِ.

﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾: صَيْحَةُ الْقِيَامَةِ.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: زَوْجَتِهِ.

﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾: يَشْغَلُهُ، وَيَصْرِفُهُ عَنْ شَأْنِ غَيْرِهِ.

﴿مُّسْفِرَةٌ﴾: مُضِيئَةٌ مُشْرِقَةٌ.

﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾: فَرِحَةٌ مَسْرُورَةٌ.

﴿غَبَرَةٌ﴾: غُبَارٌ، وَسَوَادٌ، وَكُدْرَةٌ.

﴿تَرْهَقُهَا﴾: تَعْلُوهَا، وَتَغْشَاهَا.

﴿قَتَرَةٌ﴾: ظُلْمَةٌ، وَسَوَادٌ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾: كَيْفَ قُدِّرَ، وَكَيْفَ دُبِّرَ لَهُ.

﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾: الْحِنْطَةُ وَالشَّعِيرُ.

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾: ﴿وَعِنَبًا﴾: الْعِنَبُ الْمَعْرُوفُ.

﴿وَقَضْبًا﴾: وَهُوَ الْقَتُّ الرَّطْبُ(٢)، وَسُمِّيَ قَضْبًا؛ لِأَنَّهُ يُقْضَبُ، أَيْ: يُقْطَعُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾.

﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾: كَثِيرَةَ الْأَشْجَارِ، وَالْوَاحِدَةُ: غَلْبَاءُ كَحَمْرَاءَ، وَهِيَ كَثِيفَةُ الشَّجَرِ(٣).

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥١٩ - ٥٢١)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٣٣٨).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٦)، بإسناد لا بأس به، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَقَضْبًا﴾: يَقُولُ: «الْفِصْفِصَةُ»، قَالَ أَبُو جَعْفَر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الْفِصْفِصَةُ: الرَّطْبَةُ**»، وروي عن قتادة، مثله، بإسناد صحيح.

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٧)، بإسناد حسن، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾، قَالَ: «**الحَدَائِقُ: مَا الْتَفَّ وَاجْتَمَعَ**»، وهو قول مقاتل في «تفسيره» =

﴿وَفَٰكِهَةً﴾: مَا يَتَفَكَّهُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ سَائِرِ الْفَوَاكِهِ.

﴿وَأَبًّا﴾: الْأَبُّ: التِّبْنُ، وَمَا تَرْعَاهُ الْبَهَائِمُ(١).

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ﴾: مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مَنْفَعَةٌ لَكُمْ، وَلِأَنْعَامِكُمُ الَّتِي هِيَ الْإِبِلُ، وَالْبَقَرُ، وَالْغَنَمُ(٢).

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾: وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ(٣).

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾: ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: أَيْ مِنْ زَوْجَتِهِ ﴿وَبَنِيهِ﴾.

=

(٤/ ٥٩٢).

(١) أخرج ابن إسحاق في «السيرة» (ص١٣١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٩ - ٢٣٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٧٢ و٢١٧٤)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١٤/ رقم ٥٦٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٣٨، رقم ١٥٩٧) (٣/ ٥٣٩، رقم ٦٢٩٧)، وغيرهم، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «**الْأَبُّ: نَبْتُ الْأَرْضِ مِمَّا تَاكُلُهُ الدَّوَابُّ، وَلَا يَاكُلُهُ النَّاسُ**».

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣١)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾، قَالَ: «**مَتَاعًا لَكُمُ الْفَاكِهَةُ، وَلِأَنْعَامِكُمُ الْعُشْبُ**».

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٤)، بإسناد لا بأس به، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ قَالَ: «**هَذَا مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَظَّمَهُ اللهُ، وَحَذَّرَهُ عِبَادَهُ**».

﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾: لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَأْنٌ يَشْغَلُهُ عَنْ شَأْنِ غَيْرِهِ(١).

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾: مُضِيئَةٌ(٢).

﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: عَلَيْهَا غُبَارٌ، وَكُدْرَةٌ.

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾: ﴿تَرْهَقُهَا﴾: تَغْشَاهَا وَتَعْلُوهَا ﴿قَتَرَةٌ﴾: ظُلْمَةٌ مِنْ سَوَادٍ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾: أُولَئِكَ هُمُ الْجَامِعُونَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ، وَهُمُ الْفَاسِقُونَ الْكَاذِبُونَ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري في (الرقاق، ٤٥: ٦، رقم ٦٥٢٧)، ومسلم في (صفة الجنة، ١٤: ٢ و٣، رقم ٢٨٥٩)، من حديث: عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، قَالَ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ**»، وفي رواية عند النسائي في (الجنائز، ١١٨: ٣، رقم ٢٠٨٣) بإسناد صحيح: «...، **قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَيْفَ بِالْعَوْرَاتِ؟ قَالَ**: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾».

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣٣)، بإسناد لا بأس به، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿مُّسْفِرَةٌ﴾، يَقُولُ: «مُشْرِقَةٌ».

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ خَلْقَ الإِنْسَانِ، فَصَّلَ رِزْقَهُ الَّذِي يَسَّرَهُ لَهُ، وَجَعَلَهُ قَوَامًا لِحَيَاتِهِ.

وَأَمَرَهُ سُبْحَانَهُ بِالتَّدَبُّرِ فِي ذَلِكَ؛ لِيَعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ عَظَمَةَ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيَتَأَكَّدَ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ إِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ الْهَامِدَةِ قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْأَجْسَادِ، وَإِخْرَاجِهَا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ أَنْ بَلِيَتْ، وَصَارَتْ عِظَامًا نَخِرَةً.

كَمَا أَمَرَهُ سُبْحَانَهُ بِالتَّدَبُّرِ فِي ذَلِكَ، ذَكَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْمَاءَ مِنَ السَّمَاءِ، وَصَبَّهُ عَلَىٰ الْأَرْضِ الْقَاحِلَةِ، ثُمَّ شَقَّهَا بِالنَّبَاتِ شَقًّا.

فَأَخْرَجَ مِنْهَا جَمِيعَ مَا يَقْتَاتُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الْحُبُوبِ عَلَىٰ اخْتِلَافِهَا، وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْعِنَبَ قُوتًا وَفَاكِهَةً، وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْقَضْبَ وَهُوَ عَلَفُ الدَّوَابِّ.

وَأَخْرَجَ مِنْهَا شَجَرَ الزَّيْتُونِ يُعْصَرُ مِنْهُ زَيْتُهُ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا النَّخِيلَ فِيهَا الثَّمَرَةُ الطَّيِّبَةُ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْبَسَاتِينَ الْجَمِيلَةَ الْمُلْتَفَّةَ الْأَشْجَارِ الْغَلِيظَةِ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْفَاكِهَةِ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْعُشْبَ وَالْحَشِيشَ تَرْعَاهُمُ الْمَاشِيَةُ.

صَنَعَ ﷻ ذَلِكَ كُلَّهُ؛ لِيُمَتِّعَ بِهِ الْإِنْسَانَ، وَلِكَيْ يَنْتَفِعَ بِهِ الْإِنْسَانُ، وَيُطْعِمَ دَوَابَّهُ.

www.menhag-un.com

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا ذَكَرَ أَمْرَ الْمَعَادِ؛ لِلتَّزَوُّدِ لَهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَذَكَرَ مِنْ أَخْبَارِهِ الصَّاخَّةَ: وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ، تَصُخُّ؛ تَقْرَعُ وَتَصُكُّ الْأَسْمَاعَ مِنْ قُوَّتِهَا وَرَهْبَتِهَا.

وَعِنْدَمَا يَسْمَعُهَا الْخَلَائِقُ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَقْرَبِهِمْ مِنْهُ؛ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ؛ لِأَنَّهُ مُشْتَغِلٌ عَنْهُمْ بِأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَبِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، فَلَا يَفْرُغُ لَهُمْ، وَلَا يَسْأَلُ عَنْهُمْ.

وَفِي ذَلِكَ يَنْقَسِمُ النَّاسُ إِلَىٰ فَرِيقَيْنِ: سُعَدَاءُ وَأَشْقِيَاءُ، وَإِلَىٰ أَهْلِ جَنَّةٍ، وَأَهْلِ نَارٍ.

فَعَلَامَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ: أَنْ تَكُونَ وُجُوهُهُم مُشْرِقَةً مُضِيئَةً، فَرِحَةً مَسْرُورَةً، بِمَا نَالَتْ مِنَ الْجَزَاءِ وَالْكَرَامَةِ.

وَعَلَامَةُ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَعْلُوَ وُجُوهَهُمُ السَّوَادُ وَالْكَآبَةُ، وَتَغْشَاهَا الظُّلْمَةُ وَالْكُسُوفُ؛ لِمَا يُشَاهِدُونَهُ مِنْ سُوءِ الْمَصِيرِ.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ ثَمَرَةِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ، وَأَنَّهَا تَظْهَرُ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ نُورًا عَلَىٰ الْوَجْهِ؛ إِشْرَاقًا لَهُ وَإِضَاءَةً.

٢- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ ثَمَرَةِ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ، وَأَنَّهَا تَظْهَرُ فِي الْمَوْقِفِ ظُلْمَةً وَسَوَادًا عَلَىٰ الْوَجْهِ وَغُبَارًا.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ، وَعَقِيدَةِ الْجَزَاءِ، بِعَرْضِ صُورَةٍ مِنْ صُوَرِهَا.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ كَثْرَةِ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ؛ تَذْكِيرًا لِهُمْ، وَامْتِنَانًا عَلَيْهِمْ.

٥- وَفِيهَا: الدَّلَالَةُ عَلَىٰ عَظَمَةِ قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ إِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ الْهَامِدَةِ قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ.

٦- وَفِيهَا الدَّلَالَةُ عَلَىٰ شِدَّةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَهْوَالِهِ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٢٢).

www.menhag-un.com

٧- وَفِيهَا التَّرْغِيبُ فِي الِاسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

٨- وَفِيهَا بَيَانُ حَالِ وَمَآلِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنْ يُنَجِّيَنَا مِنَ النَّارِ بِفَضْلِهِ، وَلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com